

برنامج

# "الحج عبادة وسلوك".

لفضيلة الشيخ

خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَصْلِحِ

[www.almosleh.com](http://www.almosleh.com)

**(( الحلقة الثالثة عشر.. التقوى والتوبة ))**

أما بعد.

فالحج توبة، الحج تقوى، الحج أوبة، الحج هدى، اللهم اجعلنا من عبادك المتقين،  
وَمَنْ عَلَيْنَا بَأْنِ تَنْظِمْنَا فِي سَلَكِ التَّائِبِينَ، وَأَنْ تَجْعَلْنَا يَا رَبَّنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ.  
اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ثم يقول: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾، ثم بعد ذلك يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الحج فرصة للتزود بالتقوى.

التقوى هي أن تقوم بما أمر الله تعالى به، وأن تترك ما نهى الله تعالى عنه، رغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه، فأنت تعمل بطاعة الله، وتترك مناهي الله، طمعاً في الأجر من عنده جل في علاه، وخوفاً مما أعده من العقاب وشديد الألم. فأنت تقوم بما أمرك الله تعالى به، طاعة لله عز وجل، وامثالاً لأمره، وتركاً لنهيه رغبة فيما عنده من الأجر، واجتناباً وتوقياً لما أعده لمن خالف أمره، وتورط فيما يغضبه جل في علاه.

هذه هي التقوى.

الحج يحقق ذلك، وهو فرصة للاستزادة من الأعمال الصالحة، ولذلك قال جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾، ثم قال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

التزود إنما يكون للمسافر المتهيئ إلى خروج، أو المقبل على شدة، أو المقبل على حاجة، فقال جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

إن زاد التقوى يكون بكل عمل صالح، يتقرب به العبد إلى الله ﷻ في هذا النسك.

فالذكر زاد، والتسبيح زاد، الطواف زاد، السعي زاد، الوقوف بمعنى زاد، الوقوف بعرفة زاد، الوقوف بمزدلفة زاد، الوقوف بمعنى بعد ذلك في يوم النحر وأيام التشريق زاد، طواف الوداع زاد، رمي الجمار زاد، التقرب إلى الله تعالى بذبح الهدايا والضحايا زاد.

كل ذلك من الزاد الذي قال فيه جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. الإخلاص لله ﷻ، وحسن القصد، وحسن الظن والتعبد له بالمحبة والتعظيم، خير زاد يقدم به العبد على الله ﷻ.

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، التقوى هي مقصود الحج، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾<sup>(١)</sup>.

إن التقوى هي المقصودة بكل أعمال الحج، فإن الله لا يبلغه من العبد عمل بهيئته وصورته، إنما الذي يبلغه هو تقوى الله جل في علاه الذي يكون في القلوب. ولذلك قال جل وعلا: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>. إن المؤمن ينبغي له أن يحرص على التزود بالتقوى، يقول ابن رجب: "فما تزود حاج ولا غيره، بأفضل من زاد التقوى، ولا دعي للحج عند توديعه بأفضل من التقوى".

(١) سورة البقرة: ٢٠٣.

(٢) سورة الحج: ٣٧.

(٣) سورة الحج: ٣٢.

إننا بحاجة إلى أن نستحضر التقوى في كل ما نأتي ونذر .  
 التقوى تكون في السراء، تكون في الضراء، تكون في السر، تكون في العلن،  
 تكون في كل الأحوال، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يحرص على تحقيق التقوى في  
 كل شأنه، وفي كل حاله في معاملته لله عز وجل، وفي معاملته للخلق، فإن ذلك سبب  
 من أسباب الفوز بعظيم الأجر وكبير الفضل من الله جل وعلا.  
 إن التقوى تكون بتقديم الخير للناس، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء في حديث  
 جابر، قالوا: وما بر الحج يا رسول الله؟، قال: «إطعام الطعام، وإفشاء  
 السلام»<sup>(١)</sup>.

فينبغي للحاج أن يبذل ما يستطيع في سد حاجة المحتاجين في إطعامهم.  
 قد يقول قائل : هم مقبلون مع حملات.

نعم وإذا كان كذلك فإنك تفشي السلام وتعينهم على إتمام نسكهم على الوجه  
 الذي يرضى الله تعالى عنه، فهذا من التقوى التي تنال بها أجراً عظيماً، وفضلاً  
 كبيراً من الله عز وجل.

إن الله عز وجل أمرنا باستغفاره والتوبة إليه، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا  
 إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمر رسوله بالاستغفار، فقال جل وعلا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ  
 النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ  
 تَوَّابًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وأمر الحاج بالاستغفار على وجه الخصوص، وهذا فيه الإشارة إلى أن الحج توبة،  
 وأوبة إلى الله عز وجل، والتوبة تهدم ما كان قبلها، كما أن الحج يهدم ما كان قبله،

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢٥).

(٢) سورة التحريم: ٨.

(٣) سورة النصر.

كما جاء في الحديث الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، ومن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(١)</sup>.  
يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا أمر للحجاج بأن يستغفروا الله، فليكثر الحجاج من الاستغفار ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً في كل أحوالهم، وفي كل شؤونهم، في كل منازلهم، ليكثر من الاستغفار، فخير ما يعودون به من هذا النسك المبارك، ومن هذا العمل الجليل أن يغفر الله تعالى لهم الخطايا، أن يحط الله تعالى عنهم الأوزار، أن يتجاوز الله تعالى عن الهفوات والغفلات.

«فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».  
إنها فرصة أن نتوب إلى الله عز وجل، والتوبة قوامها الندم على ما تقدم من سيء العمل، إذا تحقق لك ذلك فأنت من التائبين.  
ثم بعد هذا الإقلاع عن السيئة، والعزم على عدم العودة، والإخلاص للله عز وجل، فتكتمل بذلك التوبة المقبولة.

وإذا كان في حق من حقوق الخلق، فأعد الحقوق إلى أهلها، وتحلل من أصحابها، «فمن كانت له مظلمة عند أخيه فليتحلله منها اليوم، قبل أن يكون درهم ولا دينار، إنما هي الحسنات والسيئات»<sup>(٣)</sup>.

الحج فرصة لتحقيق التوبة، الحج فرصة للتوبة والأوبة.  
اسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم التوبة والقبول، وأن يعيننا وإياكم على التوبة والإحسان، وأن يجعلنا وإياكم من المقبولين.

(١) تقدم ذكره ونخرجه.

(٢) سورة البقرة: ١٩٩.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٤).

الحج فرصة أن نقلع عن كل سيئة، ونعود إلى الله عز وجل بخير ما نكون، ونقدر عليه من العمل ظاهراً وباطناً.

اليوم أيها الحجاج إذا فرغتم من أعمالكم، وحجكم، فقد عدتم كما ولدتكم أمهاتكم، فاحرصوا على نقاء صحائفكم، وعلى بقائها خالية مما يغضب الله تعالى، مما يجعلكم في سخطه، مما ينيلكم عقوبته، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتم لنا التوبة، وأن يزودنا بالتقوى، وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه.